الانشائية للخط الحديدي وهاجمته مرات عديدة (٥٣) ، فقد كان انشاؤه يمنع عنها الاعطيات السنوية والرسوم واجور تأجير الدواب وغير ذلك من الدخول • لقد ساعد انشاء الخط الحديدي الحجازي على انتعاش العلاقات البضاعية والنقدية وعلى ربط البلاد بالسوق الخارجي ووسع نطاق التجارة ، وكون ظروف مناسبة لتطور الاسواق المحلية • لكن من جهة اخرى قوى قدرة السلطة المركزية على القمع والبطش بالسكان المحليين وعلى تشديد استغلالهم • ولقد تبدى هذا بوضوح في سنوات الحرب العالمية الاولى وقبلها ، فاستخدم الخط (الذي كان يتزود بوقوده من الاخشاب المقطوعة من الغابات والاحراش ، التي اتلفت اتلافا شديدا ) في نقل المحاصيل والمواد التموينية والحيوانات المصادرة من السكان ، وفي نقل المكلفين بالجندية (٥٤) •

ومن التطورات الهامة من حيث اثرها على الاقتصاديات المحلية وعلى التبادل البضاعي ، ان الحكومة العثمانية امرت باستبدال العملة الذهبية بالعملة الورقية، ودفعت مقابل المواد والمحاصيل المصادرة اثمانا بخسة بهذه العملة الورقية ، ولم تبق للمزارعين سوى كمية من البذار واخرى لاستهلاكهم الخاص (٥٥)•

كما ان الحصار الذي ضرب على الموانىء العثمانية ، ادى من جهة ثانية الى فقدان المواد التموينية الاساسية الاخرى كالارز والسكر والمحروقات وارتفعت اسعار الاقمشة (٥٦) ، فكان الجو مؤاتيا للتجار الذين استفادوا من حاجة

---

( ٥٣ ) ابتدأ العمل في الخط الحديدي الحجازي من دمشق في نيسان ١٩٠٠ وقام بالعمل بصورة دائمة نحو ثلاثة الاف رجل و٢٠٠ مهندس واعتمد العمل على الجيش التركي (من الفيلق الخامس) • وقد شن البدو على عمال ومهندسي الخط ومنشآته هجمات قوية ومزعجة بقصد احباط المشروع • راجع «تاريخ شرق الاردن وقبائلها» ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ • اما اكبر المضايقات التي تعرض لها الاتراك قبل الشروع في مد الخط الحديدي فهي في جنوب البلاد ، حيث اصطدمت القوات التركية بالحويطات في مناطق معان والطفيلة والشراة وفي الصحراء شرقا ، ونتيجة للهجمات البدوية هذه سقط من القوات العثمانية ما يزيد على ٣٠٠ جندي • وقد تميزت السنوات الاخيرة من القرن الماضي بصراعات قوية بين الحويطات والسلطات العثمانية حسمت عام ١٨٩٦ لصالح الاخيرة ، غير ان الصراع ظل يتجدد مع مطلع القرن الحالي • راجع عدنان العطار : «الحويطات من كبرى قبائل العرب» ص ٧٤_٧٦ •

( ٥٤ ) راجع : «تاريخ الاردن في القرن العشرين» •

( ٥٥ ) المصدر نفسه •

( ٥٦ ) المذكرات المخطوطة لعودة القسوس • القسم الخاص بـ «الحرب العظمى» •